

الكشاف

" ا خلق كل شيء وهو على شيء وكيل له مقاليد السموت والأرض والذين كفروا بئاي ا أولئك هم الخسرون " " له مقاليد السموت والأرض " أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها ومنه قول فلان ألقيت إليه مقاليد الملك وهي مفاتيح ولا واحد لها من لفظها . وقيل : مقليد . ويقال : إقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية . فإن قلت : ما للكتاب العربي المبين وللفارسية ؟ قلت : التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا فإن قلت : بم اتصل قوله : " والذين كفروا " قلت : بقوله : " وينجي ا الذين اتقوا " أي ينجي ا المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون . واعترض بينهما بأنه خالق الأشياء كلها . وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من أعمال المكلفين فيها يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شيء في السموات والأرض ف ا خالقه و فاتح بابه والذين كفروا وجدوا أن يكون الأمر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل : سأل عثمان رضي ا عنه رسول ا A عن تفسير قوله تعالى : " له مقاليد السموت والأرض " فقال : " يا عثمان ما سألتني عنها أحد قبلك تفسيرها : لا إلا ا و ا أكبر وسبحان ا وبحمده وأستغفر ا ولا حول ولا قوة إلا با هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحي ويميت وهو على كل شيء قدير " وتأويله على هذا أن هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات ا بكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون . " قل أفغير ا تأمروني أعبد أيها الجهلون " " أفغير ا " منصوب بأعبد . و " تأمروني " اعتراض . رمعناه : أفغير ا أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون : استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك . أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله : " تأمروني أعبد " لأنه في معنى تعبدونني وتقولون لي : اعبد والأصل : تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما في قوله . :

ألا أيها الزاجري أخضر الوغى .

ألا تراك تقول : أفغير ا تقولون لي أعبده وأفغير ا تقولون لي أعبد فكذلك أفغير ا تأمروني أن أعبد . وأفغير ا تأمروني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه : قراءة من قرأ " أعبد " بالنصب . وقرء : " تأمروني " على الأصل . وتأمروني على إدغام النون أو حذفها .

" ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين بل

ا فاعبد وكن من الشكرين " قرء : " ليحيطن عملك " وليحيطن : على البناء للمفعول .
ولنحيطن بالنون والياء أي : ليحيطن ا . أو الشرك . فإن قلت : الموحى إليهم جماعة فكيف
قال : " لئن أشركت " على التوحيد ؟ قلت : معناه أوحى إليك لئن أشركت ليحيطن عملك وإلى
الذين من قبلك مثله أو أوحى إليك وإلى كل واحد منهم : لئن أشركت كما تقول : كسانا حلة
أي : كل واحد منا . فإن قلت : ما الفرق بين اللامين ؟ قلت : الأولى موطئة للقسم محذوف
والثاني لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعني : جوابي القسم الشرط فإن قلت :
كيف صح هذا الكلام مع علم ا أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم . قلت : هو على سبيل
الفرض والمحالات يصح فرضها لأغراض فكيف بما ليس بمحال . ألا ترى إلى قوله : " ولو شاء ربك
لآمن من في الأرض كلهم جميعا " يونس : 99 ، يعني على سبيل الإلجاء ولن يكون ذلك لامتناع
الداعي إليه ووجود الصارف عنه . فإن قلت : ما معنى قوله : " ولتكونن من الخسرين " ؟
قلت : يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل . ويحتمل : ولتكونن في الآخرة من جملة
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم إن مت على الردة . ويجوز أن يكون غضب ا على الرسول أشد
فلا يمهله بعد الردة ألا ترى إلى قوله تعالى : " إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات "
الإسراء : 75 ، " بل ا فاعبد " رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال : لا تعبد
ما أمروك بعبادته بل إن كنت عاقلا فاعبد ا فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه "
وكن من الشكرين " على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم . وجوز الفراء نصبه بفعل
مضمر هذا معطوف عليه تقديره : بل ا فاعبد فاعبد